خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٤/٠٨/٠٨

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضالِّينَ﴾، آمين.

﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النمل: ٦٣)

لقد نصح المسيح الموعود عليه السلام أبناء جماعته مرارا وتكرارا أن يركِّزوا على الدعاء لأن الدعاء هو الذي يضمن تقدم الجماعة وغلبتها ونجاتها من مكائد الأعداء وخططهم. فقال عليه السلام بكل وضوح أن سلاح غلبتنا هو الدعاء وحده. فلما كان مقدرا أن نحرز كل نوع من التقدم بواسطة الأدعية وأن نتغلب على كل عدو بالأدعية فقط فكم نحن بحاجة إلى التركيز على الدعاء واضعين أهميته في الحسبان! ولنفحص أيضا كم نحن مركِّزون عليه حاليا لتحقيق هذا الهدف. فكلٌّ منا يستطيع أن يقدّر ذلك بفحص حالته الشخصية ويستطيع أن يحاسب نفسه من هذا المنطلق.

قبل بضعة أيام سرد لي أحد الأقارب رؤياه، حيث رأى أنني أقول له بأن رمضان مضى بسرعة مع أنني كنت أنوي أن أوجّه أبناء الجماعة إلى أن يركِّزوا على الدعاء أكثر.

من الممكن أن يكون المراد من هذه الرؤيا، أو هو كذلك يقينا، بأن الناس لا ينتبهون إلى الدعاء ولا يركِّزون عليه في غير شهر رمضان، حيث لا يبقون على الحال نفسه الذي كانوا عليه في رمضان، مع أن الجماعة بحاجة إلى الإكثار من الدعاء، فكانت هذه الفكرة في بالي قبل أن أسمع الرؤيا المذكورة، فقد ألقى الله تعالى في رُوعي أن أوجِّه أنظار الجماعة إلى الدعاء في الخطبة التي تلي رمضان. فجاءت رؤيا هذا الأخ مؤيِّدة لما كان يدور في خَلَدي. ومن سنة الله تعالى أنه في بعض الأحيان يوجِّه أنظار المؤمنين إلى أمر عن طريق الآخرين أيضا بدلا من توجيههم مباشرة، مع أن الله تعالى قد ألقى تلك الفكرة في قلبي سلفا.

معلوم أن الناس لا يركّزون على الدعاء عادة بعد رمضان بالشدة والاهتمام نفسه الذي كانوا متوجّهين إليه في رمضان.

ومن الظروف السائدة في العالم وخاصة التي تحيط بالعالم الإسلامي بوجه خاص نرى أن إسرائيل مستمرة في شن الهجوم الغاشم على سكان فلسطين. لقد سبق أن عُقدت، كما نعلم، هدنة مؤقتة إلى البارحة، ولكن سمعت أنها أُلغيتْ اليوم ويُتَّهم الفلسطينيون- والله أعلم بالصواب- أنهم بدأوا بإطلاق الصواريخ مجددا. ندعو الله تعالى أن يخلق ظروفا حتى تنتهي هذه الحرب وهذا الظلم بصورة دائمة.

ونرى أيضا أن التناحر بين المسلمين وظلم بعضهم بعضا وقتل إخوتهم وقطعهم رقابَهم قد بلغ منتهاه. والأدهى والأمرّ في الموضوع أن الناطقين بالشهادتين يظلمون الأحمديين باسم الله ورسوله، ويبحثون عن الأعذار بكل وقاحة للاستمرار في هذه المظالم، ويُدلون ببياناتهم أيضا أنهم ينوون الاستمرار فيه. لقد صار من شيمة غير الأحمديين الخاضعين لنفوذ المشايخ في باكستان أو الأغلبية منهم أن يؤذوا الأحمديين على كل مستوى وبكل مناسبة. وإضافة إلى ذلك ينفثون السم في الجيل الناشئ ويُسمِّمون أذهان الأطفال الصغار ضد الأحمديين فيقول هؤلاء الصغار أيضا أن الأحمديين كفار وقتلهم جائز مع أنهم لا يعرفون عن الدين شيئا، ولا يدرون ما معنى العداوة. كذلك يسيء الطلاب في المدارس إلى المعلمين الأحمديين فيقولون لهم ما يحلو لهم لمجرد كونهم أحمديين. ثم تُتَّخذ إجراءات لطردهم من المدارس. فقبل بضعة أيام أيضا خرج الطلاب وآباؤهم في مظاهرة في قرية صغيرة ضد معلّم أحمدي وقاموا بالإضراب قائلين بأننا لا نريد أن ندرس على يده لأنه أحمدي. فقال لهم مدير المدرسة على ما أظن أو شخص عاقل آخر بأن النبي ﷺ كان قد أمر بإطلاق سراح أسرى الحرب المثقفين بشرط أن يدرِّسوا المسلمين ما عندهم من العلم والثقافة. إذًا، فقد عُرض هذا التخفيف على الأسرى مع أنهم كانوا قد اشتركوا في الحرب بنية قتل المسلمين. ولكن عندما عُرض هذا الأمر على أهل القرية المذكورة قالوا: صحيح أن النبي ﷺ قال ذلك للكفار ولكننا لن نقبل هذا لأن كفر القاديانيين أكبر من هؤلاء الكفار لذا قتلُهم أيضا جائز ولكننا متسامحون معهم.

هذا العناد والتعنت لا يقلّ بعد أي حادث، فبدلا من أن يشعروا بشيء من الخجل بعد رؤية هذه الأعمال غير الإنسانية لا يزالون على سيرتهم الأولى، فالبعض من جيران إخواننا المضطهدين في غوجرانواله الذين كانوا يعيشون معهم ويجالسونهم بصورة عادية، لما وجدوا بيوتهم خالية انضموا مع الأوباش في نهبها. وإذا تردى قوم لهذه الدرجة فماذا يملك المرء إلا أن يحوقل عليهم؛ ذلك أنّ نهايتهم قد اقتربت حتمًا؟

إننا في فترة الابتلاء هذه بحاجة أشد للإنابة إلى الله أكثر من ذي قبل. فلا تقصروا في الدعاء أبدا. إن غيرنا من المسلمين يسوّون حسابهم مع الآخرين برد الظلم بالظلم، أما نحن فعلينا القضاء على الظلم بالانهماك في البكاء والابتهال والدعاء الحار أمام الله تعالى. لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام في بيت شعر له بأن العدو لما زاد الصخب والضجيج توارينا في حبيبنا الخفي عن الأنظار. فهناك حاجة للتواري في الحبيب الخفي. هناك حاجة لأن نكون بحال يجعل عرش الرحمن يهتزّ. هناك حاجة إلى أدعية موجهة إلى جهة واحدة وليس إلى أدعية متفرقة الجهات. ففي رؤيا هذا العزيز قلت له إني كنت أريد أن أطلب من أبناء الجماعة مزيدا من

الأدعية، وطلبي من الجماعة الدعاء إنما كان لنجاحاتها وترقياتها ورفع المحن عنها. فما دام كل واحد منا يرغب في انتهاء فترة الابتلاءات هذه عاجلا، فنحن بأمس حاجة إلى توجيه تيار أدعية الجماعة كلها إلى جهة واحدة أي أن ننجو من شر العدو. فحاجة هذا الوقت هو أن نقوم بالدعاء من أجل النجاة من شرور الأعداء أكثر وأكثر.

وبهذه المناسبة تذكرت رؤيا لي قديمة وقد حكيتها لكم من قبل أيضا مرة، وهي أنني أقول: إذا أرادت جماعتنا تغيير الظروف عاجلا فعليهم أن ينيبوا إلى الله تعالى كجماعة بتحسين حالتهم لوجه الله خالصة، وبإخلاص أدعيتهم لوجه الله تعالى للخروج بها من هذه المحن والابتلاءات، ولو أننا أنبنا إلى الله تعالى على هذا النحو كجماعة، وقضينا لياليا في الدعاء للجماعة، فيمكن أن تحدث هذه الثورة في بضعة أيام بأدعية بضعة ليال. وإلا فستقع هذه الثورة حتما، وستتغير الأوضاع يقينا، ولكنها ستستغرق وقتا، فقد وعد الله تعالى أن الأوضاع ستتغير بإذنه حتما. والرسالة التي أُعطيتُها في هذه الرؤيا هي أن الشرط أن يدعو كل أولئك الذين ينتمون إلى سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام بإخلاص تام. وكان في الرؤيا عندي انطباع أن هذه الرسالة موجهة إلى المسلمين الأحمديين في باكستان خاصة، فعلى الأحمديين الباكستانين، فقراء وأغنياء، رجالا ونساء، أن يهتموا بهذا الأمر بوجه خاص لأنهم أكثر تعرضًا للاضطهاد من الأحمديين الآخرين. ثم إن الأحمديين في العالم بشكل عام هم أيضا بحاجة إلى الاهتمام بهذا الأمر، لأن بقاء العالم منوط بانتصار الأحمدية، ونزول أفضال الله على الأمة الإسلامية متوقف على غلبة الأحمدية، والقضاء على الظلم والاعتداء وثيق الصلة بنصر الأحمدية. فسواء أأردتم إنقاذ الفلسطينيين من الظلم أو إنقاذ المسلمين من حكامهم المستبدين، فليس ضمان ذلك إلا في أدعية المسلمين الأحمديين. هناك حاجة للقيام بالأدعية حق قيامها. إن الأحمديين هم أكثر الناس عرضة للاضطهاد والعدوان في العالم، فأدعيتهم إذا ما اتخذت صبغة الديمومة فسوف تؤدي إلى نجاتهم من الظلم بل نجاة الإنسانية جمعاء. فنحن بحاجة ماسة إلى إدراك مسئوليتنا.

لقد قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إن خواص الدعاء العجيبة والخارقة إنما تظهر في أيام الابتلاءات، والحق أن إلهنا إنما يُعرف من خلال الدعاء.

فكما قلت آنفا: ليس في الدنيا اليوم أحد هو أكثر عرضة للابتلاء والمحن من الأحمديين، وليس هناك أحد هو أكثر عرضة للظلم في بعض البلاد الإسلامية من الأحمديين، والأكثرية من أهل النبل والمروءة في هذه البلاد بل كلهم قد أصابهم العي وصاروا بكما في ظل هذه الأوضاع، فهناك حاجة أشد أن نولي هذا الأمر أهمية خاصة لنرث فيوض الدعاء الخارقة المعجزة. وهذا ما قال الله تعالى في الآية التي استهللت بها خطبتي حيث قال انظروا من ذا الذي يقبل دعاء المضطر، إنه الله تعالى وحده الذي يقبل من يدعو في حالة الاضطرار. علمًا أن المضطر هو من يرى المصائب والابتلاءات محيطة به من كل جهة، ولا يجد أي سبيل مادي ودنيوي لنجاحه، إنما يرى سبيلا واحدا فقط وهو التوجه إلى الله تعالى. يقول الله تعالى إن الذي يتوجه إليّ، والذي تكون كل الطرق الدنيوية مسدودة في وجهه هو المضطر، وليس مَن إذا لم يجد طريقا للخلاص أخذه الهلع وقال أين أذهب الآن. المضطر كما قلت آنفًا هو مَن يجد السبل كلها مسدودة في وجهه، ويرى بارقة أمل واحدة،

ويسارع إليها. أما لو وجد المرء نارا ملتهبة حوله من كل جهة، وشرع في الهروب منها مذعورا كالمجانين فهو ليس بمضطر، وسيلقي نفسه في النار، إنما المضطر من يرى النار ثم ينظر في كل جهة، ثم إذا وجد طريقًا للخلاص منها توجه تلقاءه، وقد وعد اللهُ تعالى أن ينقذ مثل هذا المضطر من النار، ويصبح له ملاذا، ويكون ذلك الظل الظليل الذي سينقذه من حر النار، فهلموا إليه، واطلبوا منه الملاذ، وسوف يخرجكم من الابتلاءات والمحن. إذا توجهتم إليه موقنين بأن لكم ربا قادرا على إنقاذكم من المحن فإنه سينقذكم منها بسبب يقينكم هذا، وبسبب دعائكم هذا، وسوف تظهر لأجلكم خواص وتأثيرات خارقة للدعاء. فمن اتصف بهذه الصفة أعني أنه لا يعدّ غير الله مأوى ولا ملجأ له ولا يحسب ما سوى الله منجّيا له من المحن، فهو المضطر الحقيقي، وأدعيته هي التي تُري العجائب والخوارق.

فيما يتعلق بقبولية الدعاء فعلينا أن نكون موقنين تماما أن الله وحده يغيث الإنسان في كل أنواع الاضطرار، وليس هناك سبيل آخر يمكن أن نرى فيه بارقة أمل، فلو كان المضطر مليئا بهذا اليقين لأتى الله إليه هرولةً عند كل اضطرار، ويكشف عنه السوء والكرب ويبخّر مصائبه حسب وعده، سواء أكانت مصائب فردية أم جماعية.

ثم إن الله تعالى يقول إنه لا يكشف السوء ولا يرفع المصائب فقط، بل يُنزل على العبد نعمه وجوائزه أيضا، وحيث إن نعمه غير محدودة فيمكن أن يزيد العطاء كما يشاء. فالله تعالى لما بشّر بكشف المحن عن المؤمنين، زاد وقال (ويجعلكم خلفاء الأرض)، أي أنه سيورث المؤمنين الأرض. إنه تعالى يدمر الجبابرة المستبدين والطغاة ويُجلس المظلومين الضعفاء في بادي الأمر مكانهم. فإذا كان الله تعالى يجيب دعاء المضطر ويكشف عنه السوء فرديا من جهة، فإنه من جهة أخرى يرفع عن المؤمنين محنهم الجماعية أيضا، وهذا ما أكده القرآن الكريم في آيات أخرى، حيث ذكر أن السابقين لما كفروا برسلهم واضطهدوهم وأتباعَهم دمرهم الله تدميرا وأجلس المقهورين مكانهم. كانوا جبابرة طغاة ذوي حشمة وجلال ولكن الله أهلكهم ومحا أثرهم كلية. وهذا القانون جار اليوم كما كان جاريا في الأمم الغابرة.

فالله تعالى يقضي على الظالمين بلا شك، ولكن بشرط أن يصبح المظلومون مضطرين ورافعين صوت (مَتَى نَصْرُ اللَّهِ) بابتهال وحرقة وألم، وعندها تهيج رحمة الله فيهيئ الأسباب للقضاء على الظالمين عاجلا. ندعو الله تعالى أن يلهم العقل قوما قد عزموا على الظلم اليوم مغرورين بقوتهم وكثرتهم، وإلا فإن قوتهم وكثرتهم هي التي ستدفعهم إلى الهلاك، فهذا ما قال الله تعالى بأن الذين لا يعملون بالتقوى مغرورين بقوتهم وكثرتهم، فإن عاقبتهم تكون وخيمة. إن كان هؤلاء ينطقون بالشهادة من جهة ومن جهة أخرى يظلمون الأبرياء باسم الله ورسوله فليعلموا أن الله ورسوله والشهادة كلهم بريئون منهم. لقد أخبر الله تعالى بعاقبة وخيمة للظالمين، ولم يقل أن فئة فلانية منهم مستثناة من العقاب، فليفعلوا ما يشاءون، بل كل من سيتورط في الأعمال التي نهى الله عنها والتي تؤدي إلى ارتكاب المظالم سيواجه مصيره. أما نحن فيجب أن ننشئ فينا حالة الاضطرار للتخلص من هذه المظالم عاجلا، ونطلب نصْر الله باضطرار، ثم انظروا كيف يأتي الله بنصْره. كل واحد منا بأمس حاجة إلى إنشاء هذه الحالة.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: اعلموا أن الله غني جدا، فهو لا يعبأ بالناس ما لم يكثروا الدعاء باضطراب مرارا وتكرارا. انظروا إذا كانت زوجة أحد أو طفلُه مريضا أو رُفعت ضد أحد قضيةٌ خطِرة، فكم يضطرب بسبب ذلك! فالدعاء أيضا عديم الجدوى تماما وهو عمل سخيف ما لم يتسم بالالتياع الحقيقي وما لم يُصب الداعيَ اضطرارٌ. فالاضطرار شرط للقبول.

فللتخلص من المشاكل التي تواجهها الجماعة نحن بحاجة إلى الاضطرار نفسه الذي نُظهره للتخلص من المعاناة الشخصية. فقد قال المسيح الموعود عليه السلام يجب أن تدعوا الله بإلحاح وباستمرار. فالفكرة أنّا قد دعونا الله في رمضان ففيه الكفاية غير صحيحة، والدعاء لا يكفي في رمضان وحده أبدا، بل ثمة حاجة للمداومة على الدعاء، فالإنسان بطبعه بحاجة إلى الدعاء المستديم، بل سنظل دوما بحاجة إلى الدعاء بانتظام حتى في زمن يهبنا الله فيه فتحا مبينا سائرين على دروب التقوى للمحافظة على أفضال الله. باختصار ينبغي أن لا تضعف علاقتُكم بالله أبدا، ومعلوم أن أيَّ مؤمن لا يتحمل ذلك. يجب أن نستجيب له سبحانه وتعالى في المشكلات والآلام كما يجب أن لا نتغافل عن ذكر الله أبدا في الأفراح واليسر أيضا. فالمؤمن لا يكون أبدا مُغرضا وأنانيا ولا يكتفي بالدعاء العارض والحماس المؤقت بل يحافظ على علاقته بالله سبحانه وتعالى في كل حال ويجب أن يكون كذلك. فهذا الإيمان وهذه العلاقة تُظهر للمؤمن آياتِ القبول على الدوام في الأوضاع العادية أيضا.

لقد قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام في موضع: تذكروا أن الميل إلى غير الله بمنـــزلة الانقطاع عن الله سبحانه وتعالى.

فالمؤمن الحقيقي لا يمكن حتى أن يتصور أن يقطع علاقته عن الله لكنه يتقاعس أحيانا في الدعاء بسبب الضعف، ويميل إلى الأسباب بسبب الشئون المادية، أو لا يؤدي حق الدعاء. إذن يجب أن يستعرض كل واحد منا أوضاعه كل حين وآن وحذار أن ننهمك في شئوننا ومشاكلنا لدرجة لا يبقى عندنا اهتمام بالدعاء للذين يواجهون المشاكل والاضطهاد لمجرد انتمائهم إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية.

تذكروا أن دعاء كل فرد من الجماعة حين يَصدر توسلا برحمة الله ومغفرته وعفوه وصفاته المختلفة فهو يتسبب في زوال آلام الجماعة ومشاكلها.

لقد ورد في الحديث ما معناه أن ثَلَاثَة نَفَرٍ من أمة من الأمم السابقة أَخَذَهُمْ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَانْحَطَّتْ عَلَى فَمِ غَارِهِمْ صَخْرَةٌ مِن الْجَبَلِ فَانْطَبَقَتْ عَلَيْهِم. أي انطلقوا ليتخلصوا من مصيبة صغيرة ولكن وقعوا في أكبر منها. فتعذر عليهم إزالة الصخرة من فم الغار. ولم يكن ممكنا أن ينالوا عونا من الخارج أيضا وهم في فلاة. فأصابهم الهلع والذعر الشديد حين شعروا أن الخروج صار مستحيلا، وظنوا أنه قد يكون الغار قبرهم. ففي هذه الحالة حين لم يجدوا منجى ذهب وهْلُ أحدهم إلى الدعاء فقال لأصحابه: تعالوا ندعو وانْظُرُوا أَعْمَالا عَمِلْتُمُوهَا صَالِحَةً لله فَادْعُوا اللهَ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُهَا عَنْكُمْ قَالَ أَحَدُهُمْ: اللهم كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ أَحْبَبْتُهَا فَطَلَبْتُ مِنْهَا فَأَبَتْ عَلَيَّ حَتَّى قمتُ ببعض الحيل وأنفقت عليها بعض المال أيضا فَبَغَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُهَا فَلَمَّا وَقَعْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ يَا عَبْدَ اللهِ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْتَح الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ. فَيا ربِّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فَرْجَةً فَفَرَجَ ولكن لم تفتح الفوهة بكاملها. وقال الثاني اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ أَرُزٍّ فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ ذهب قبل أن يأخذ أجرته. فَلَمْ أَزَلْ أَزْرَعُهُ وكان الحصاد جيدا

حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيَهَا فَجَاءَنِي بعد عدة سنوات طالبا أجرته فَقُلْتُ اذْهَبْ إِلَى ذَلِكَ الْبَقَرِ المنتشر في الوادي وخذه. فَقَالَ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي: فَقُلْتُ: لقد استثمرتُ أجرتك وصار هذا القطيع، فهو لك، فأخذه وانصرف. فَيا ربّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ فَفَرَجَ اللَّهُ قليلا ولكن لم يفتح عليهم كاملا. ثم قال الثالث: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ وَلِي صِبْيَةٌ صِغَارٌ كُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ حَلَبْتُ فَبَدَأْتُ بِوَالِدَيَّ أَسْقِيهِمَا قَبْلَ بَنِيَّ وَإِنِّي اسْتَأْخَرْتُ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمْ آتِ حَتَّى أَمْسَيْتُ فَوَجَدْتُهُمَا نَامَا فَحَلَبْتُ كَمَا كُنْتُ أَحْلُبُ فَقُمْتُ عِنْدَ رُءُوسِهِمَا أَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْقِيَ الصِّبْيَةَ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمَيَّ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ وعندما استيقظا صباحا سقَيتُهما الحليب ثم سقيتُ أهلي وأولادي. فيا ربّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُهُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ دون حاجة دنيوية فارحمني وَافْرُجْ لَنَا مَا بَقِيَ فَفَرَجَ اللهُ وخرجوا من الغار.

فكان ثلاثة أشخاص عملوا ثلاثة أعمال مختلفة، فأحدهم أدَّى حق الأمانة في دفع أجرة الأجير متحليا بإنصاف وأدى حقوق الناس، والثاني أحسن إلى والدَيه وأدى حق الخدمة، والثالث اجتنب الزنا ابتغاء مرضاة الله، ودعَوا انطلاقا من ذلك لكن الهدف من دعاء كلٍّ منهم كان مشتركا، أي أن يتراح الحجر، فانزاح. فالحسنات الشخصية الفردية والدعاء الذي صدر انطلاقا منها، أظهرت مشاهد القبول الجماعي. فكما نتلقى من هذا الحديث دروسا أخرى كثيرة، نتعلم منه درسا عظيما وهو أن حسنات الناس التي أنجزوها شخصيا والأدعية التي قاموا بها فرديا تتسبب في التخلص من المشكلة الجماعية. فحين ندّعي الانخراط في الجماعة تمسّنا الحاجة إلى أن ندعو الله ﷻ أن يزيل مشاكلنا الجماعية ويرفع عنا الابتلاء الجماعي. فلا تستغرقوا وتنهمكوا في الدعاء لإزالة مشاكلكم الشخصية فقط، بل يجب أن تولِّدوا في نفوسكم لإزالة المشاكل الجماعية أيضا اضطرارا وقلقا ينشأ في دعاء المرء حين يواجه المشاكل شخصيا. لقد كنت نصحتُكم بأن تصلُّوا ركعتين يوميا لتقدم الجماعة وتغيير الأوضاع وغالبيتكم يذكرون في الرسائل أنهم يصلّون، فادعوا فيهما بحرقة وضراعة. يمكن أن تقدِّروا حالة المنحبسين في الغار، حيث دعَوا الله بعد اليأس وانقطاع الأمل في أي نجدة مادية، ذاكرين أي حسنة أنجزوها ابتغاء مرضاة الله. فمن السهل أن يقدِّر الإنسان الاضطرار والقلق الذي ينشأ عندما يواجه الإنسان المعاناة والألم في مثل هذا الوضع المؤلم والشاق حيث تنقطع إمكانية أي مساعدة مادية.

فإذا كان يجب علينا إنجاز جميع أعمالنا ابتغاء مرضاة الله، لكونها تسهم كثيرا في قبول الدعاء، ففي الوقت نفسه يجب أن ندعو الله بمنتهى الضراعة والتواضع لإزالة مشاكل الجماعة بعدّها مشاكلنا الشخصية. يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن إجابة الدعاء تقتضي أن يُحدث الإنسان تغييرا طاهرا في نفسه، إذا كان لا يستطيع اجتناب السيئات ويتجاوز حدود الله، فلا يبقى للدعاء أي تأثير.

ثم قال حضرته في موضع آخر لافتا انتباهنا إلى الدعاء: إذا كنتم مثل الآخرين فلن يميِّزكم الله من الآخرين، وإذا لم تستطيعوا أنتم إحداث ميزة بيِّنة في نفوسكم فلن يُظهر الله ﷻ أيضا أي ميزة لكم. فالإنسان الرائع مَن يعمل بحسب مشيئة الله، أما إذا كان ظاهرُ الإنسان يخالف باطنه فهو منافق، والمنافق أسوأ من الكافر.

طهِّروا القلوب قبل كل شيء، وهذا ما يهمني أكثر من كل ما سواه. لن نحرز الانتصار بالسيف ولا بأي قوة أخرى، وإن سلاحنا الوحيد هو الدعاء وطهارة القلوب.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لإنجاز جميع أعمالنا ابتغاء مرضاة الله محدثين التغيير الطاهر في نفوسنا بحسب أمنية المسيح الموعود عليه السلام، وأن نسعى جاهدين لتحقيق ذلك دوما، وننصرف إليه سبحانه وتعالى بالدعاء بالضراعة، وأن ننشئ في أدعيتنا -لإزالة الابتلاءات وتحقُّق ازدهار الجماعة- الإلحاحَ نفسه الذي نبديه في دعائنا لإزالة مشاكلنا الشخصية، وأن تَحدث في أدعيتنا الحرقة واللوعة لإزالة معاناة الجماعة التي تحدث في دعائنا لإزالة المعاناة الذاتية، وأن ندعو متحدين لنُعصَم من شرور المعارضين.

فكما قلت في البداية أيضا إننا ما دمنا لا ننيب إلى الله مخلصين لإزالة هذه المشاكل الجماعية فلن ننال أهدافنا عاجلا. فبعد مبايعة المسيح الموعود عليه السلام إنما أدعيتنا المشتركة يمكن أن تصرف عنا المشاكلَ الشخصية أيضا، فالإنسان حين يدعو لغيره فالملائكة يدعون له، إنما تتراح الصخرة عن الغار عندما يكون اتجاه الأدعية وهدفها موحدا. إذن يجب أن لا يصاب أي فرد من الجماعة بأنانية أنه إذا كان هو بخير فكل شيء على ما يرام. كلا بل يجب أن ينشأ فينا شعورٌ بأن معاناة أي أحمدي مقيم في أي بقعة من بقاع العالم لهي معاناتُنا المشتركة، ولا يغيبن عن البال أنه لا يكفي نشوءُ هذا الشعور لدينا فقط بل يجب أن نهتم بالدعاء أيضا لإزالة هذه المعاناة.

فعن هذا السلاح نفسه قال سيدنا المسيح الموعود عليه السلام:

هذا السلاح سيمكِّننا من الفتوح، لكن ينبغي أن تتذكروا أيضا، أنه في الحماس يجب أن لا ندعو أن يُنزل الله العذاب أو الوبال على الأعداء والمعارضين، بل ادعوا الله سبحانه وتعالى قائلين: ربَّنا حين نسألك النجاحات لنا وندعوك لتزيل عنا الابتلاء والمشكلات ونسألك أن تقطع زمن الابتلاءات هذا، ففي الوقت نفسه نريد يا ربنا عافيتهم ولا نريد هلاكهم، إن فضلك قد غمرنا نحن الضعاف ونرى دوما مشاهد فضلك حتى في الأوضاع الصعبة جدا.

فإذا غمرتَ هؤلاء أيضا وهديتَهم فهي سعادة عظمى لهم ولنا أيضا، أما إذا كانت حكمتك لا تراهم أهلا لها، ورأيت الخير في إفنائهم فاصرفْهم عن طريقنا بحيث لا يقدرون على وضع العراقيل في طريق تقدُّم الإسلام وازدهاره الذي قدَّرته بواسطة الأحمدية الإسلام الصحيح.

فيجب أن ندعو الله سبحانه وتعالى من هذا المنطلق لا أن ندعو عليهم مطلقا، وفَّقَنا الله جميعا لأداء حق الدعاء.